

الثقافة البيئية للسكان وعلاقتها بالتلوث الحضري

أ. عطل مسعودة
جامعة باتنة

د. كمال بوقره
جامعة باتنة

مقدمة

تحاول هذه الدراسة تناول موضوع الثقافة البيئية للسكان و علاقتها بالتلوث الحضري ، وذلك من خلال عرض وضع الأحياء غير المخططة، والأحياء المتخلفة ومدى توفر عناصر الثقافة البيئية فيها، وكيف يؤثر نمط الثقافة المنتشرة في هذه الأحياء على التلوث الحضري الملاحظ ، فهدف هذه الدراسة بيان ارتباط الثقافة البيئية للسكان بانتشار التلوث الحضري، أي إفرازات سوء التخطيط الحضري، وكذا البناء الفوضوي، الأصل الاجتماعي للسكان (بسبب النزوح الريفي، الهشاشة الاجتماعية لبعض الفئات)، وكذا الوضع الاقتصادي، والمستوى التعليمي، كل هذه العناصر التي تساهم في بناء علاقة الثقافة البيئية بالتلوث الحضري داخل الأحياء السكنية، وقد حاولنا في دراستنا هذه استجماع بعض عناصر التراث النظري ، وكذلك الدراسات الميدانية التي أجريت حول الموضوع في العديد من البلدان.

Cette étude tente de répondre à la question de la culture environnementale de la population et de sa relation à la pollution urbaine, et si par monture situation du quartiers non planifiées et les quartiers défavorisé. Et la disponibilité des éléments de la culture de l'environnement, Et comment il affecte la culture motif répandu dans ces quartiers sur la pollution urbaine est perceptible.

L'objectif de ce thème est d'étudier la corrélation de la culture environnementale de la population et le spread de la pollution urbaine; Toutes les sécrétions mauvaise planification urbaine, En plus de la construction chaotique, L'origine sociale de la population (En raison de l'exode rural, la vulnérabilité sociale de certaines catégories), En plus de la conjoncture économique, le niveau éducatif ; tous ces éléments qui

contribuent à la construction d'une relation de la culture environnementale, avec la pollution de l'environnement dans les quartiers résidentiels.

Nous avons essayé dans cette étude rassemble certains éléments de l'héritage théorique, ainsi que des études de terrain menées sur le sujet dans certains pays.

أولاً: الإشكالية:

تتسم المجتمعات الحضرية الحديثة بالتغير المستمر و المتسارع، والذي يعد سمة الحياة وشعارها فالنمو المطرد في الصناعة والتجارة وأساليب النقل و الاتصال وكذلك التغير الجارف في المفاهيم والقيم والقواعد والتفاعلات بين الناس في الحضر.

كل ذلك وغيره من عوامل أخرى تصيب النسيج المتوارث للعلاقات في المدينة بالتصدع وإدخال أعراف وقيم جديدة منبثقة من طبيعة الحياة التي يعيشها سكان المدن وخاصة فيما يتصل بالسلوك الثقافي والمصالح الشخصية الأمر الذي يعمل على إيجاد مشكلات تتصل بالبيئة الحضرية وسكانها ويساعد في ذلك اتساع البيئة الحضرية وازدياد كثافتها السكانية مع تباين عناصرها وفئاتها وما يطرأ عليها من تقدم تكنولوجي وتطور مادي ينعكس على علاقة الإنسان بالبيئة.

إذ تعتبر ثقافة المجتمع مدخلا مهما في تفسير وفهم المشكلات البيئية ؛كونها تتصل بمجموعة الأساليب والتصرفات السلوكية والقيمية وكافة نتاج البشر من أشياء مادية جاءت ثمرة لحياة الإنسان المجتمعية وما توارثه الناس جيلا بعد جيل سواء كانت هذه الثقافة مادية "المنتجات التكنولوجية والصناعي" أو غير مادية "كالعادات والقيم والتقاليد" وبذلك تنشأ هوة ثقافية نتيجة اختلال يصيب التغير الثقافي فتتدفق الماديات الثقافية بسرعة بينما تجمد المعنويات الثقافية وهي في نفس الوقت وثيقة الصلة بها وبذلك يتسنى للماديات المتطورة أن تمضي في خدمة المجتمع بلا صراعات أو أضرار إذا لم تتغير المعنويات التي تتصل بها وخاصة فيما يتصل به من تصرفات وقيم وعادات وثقافات بيئية تؤثر على مفاهيم المجتمع وعاداته وقيمه التي ينتج عنها مشكلات تؤثر سلبا على حياة الإنسان وبيئته التي يعيش فيها وتنعكس على علاقة الإنسان ببيئته سلبا أو إيجابا .

ولطالما استمرت علاقة الإنسان بالبيئة وشكلت المحور الأساسي واهتمام عدد من مجالات البحث والمعرفة العلمية وذلك من خلال إضافة البعد الإنساني والاجتماعي إلى مفهوم البيئة إذ يعد

المجتمع هو النسيج المتكامل التاريخي والثقافي والوظيفي والمستقبلي الذي يضع فيه الإنسان بعقله ومعتقداته وقيمه وضميره وآماله خطوطا تتشابك وكأنها طرق توصل جميعها إلى البيئة بكل ما فيها من إمكانيات يستطيع الإنسان أن يستخدمها لتسخير هذه البيئة لخدمته كخلق أشكالاً جديدة من المرافق والخدمات العامة كشبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي والمواصلات.

وعلى الرغم من أن البيئة بأشكالها المختلفة تعتبر من أكثر الموضوعات قرباً من موضوعات علم الاجتماع إلا أن استخدام مفهوم البيئة في الدراسات السوسولوجية لم ينل اهتماماً كبيراً لعل ذلك يرجع إلى أن الباحثين في ميدان علم الاجتماع يميلون إلى استخدام مفاهيم أكثر تحديداً من مفهوم البيئة على عكس ما هو شائع في كثير من الدراسات السيكولوجية وبذلك أصبحت مسألة حماية البيئة عامة وحماية البيئة الحضرية ضرورة إنسانية واجتماعية وأخلاقية يجب أن تتضافر كل الجهود الإنسانية والعلمية والتربوية من أجل نشر الثقافة البيئية والإشارة إلى الأخطار التي تحيط بالإنسان وغرس القيم اللازمة في نفوس الأفراد من أجل تحسين سلوكه في التعامل مع البيئة الطبيعية وبيئته الحضرية للحفاظ عليها ونشر الوعي وتكوين الاتجاهات السلوكية التي تعبر في مجملها عن الحاجة إلى إصلاح ما أفسده الإنسان نتيجة سوء تعامله مع البيئة المحيطة به سواء كانت تلك البيئة طبيعية أو مشيدة أي بيئة حضرية.

وعندما نتحدث عن الثقافة في هذا الموضوع فإننا لا نقصد بها فقط بأنها نشاط ذهني مستقل نسبياً بل نقصد أنها آلية صنع السلوك والأحداث ومن هذا المنطلق نعتقد أن أي دراسة علمية للثقافة في المجتمع الجزائري حتى تكون مفيدة وتؤدي إلى علاج الأوضاع البيئية في الأحياء الحضرية المتخلفة يجب أن يأخذ هذا الموضوع مأخذ الجد ونركز على البعد الثقافي في التوعية كما أنه عندما نتكلم عن الثقافة فإننا لا نقصد بها تلك المعارف المتكدسة لدى الأفراد أو المستوى التعليمي الذي وصل إليه أفراد مجتمع معين وإنما نقصد بها " العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي الثقافي لدى الأفراد بأسلوب الحياة في المجتمع كما تحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد "¹.

إذ الثقافة هنا تشمل العناصر الاجتماعية والثقافية التي توجه سلوك الفرد وتحدد مواقفه تجاه واقع اجتماعي تتدخل فيه مجموعة من العادات والاعتقادات والقيم المتعلقة بالأفراد كأعضاء في المجتمع ، فالثقافة هي التي تصنع الحدود حول أي خبرات ثقافية أو أسلوب حضري يمكن تطبيقه للحصول على الأهداف المرغوب فيها وكيفية توظيف هذه الخبرات الثقافية .

¹ -مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص56.

لقد ساهم نزوح عدد كبير من الأفراد ذو ثقافات مختلفة وتوطنهم في المدن في خلق نوع من عدم التوازن في البيئة الحضرية ولا سيما في محيط الأحياء المتخلفة وذلك لوجود هذه الثقافات التي تعد من أصول بيئة مختلفة والثقافة البيئية السائدة في هذه الأحياء إذ أصبحت هذه الأحياء تحوي عددا من الثقافات ذات الأصول البيئية المختلفة والتي تجاوزت مع الثقافة السائدة دون أن تندمج أو تتصهر أو كان الاندماج والانصهار بدرجة غير كافية مما نتج عنه نوع من المشكلات البيئية التي تزامنت مع مرور الوقت بظهورها في الأحياء الحضرية المتخلفة فتدهور الحياة الحضرية بسبب تكسب أكوام القمامة والمخلفات المنزلية وافتقار السكان للحس والوعي الحضري ونقص الثقافة البيئية لدى سكان الأحياء الحضرية المتخلفة دليلا على تدهور الأوضاع البيئية في الأحياء الحضرية المتخلفة¹.

وهي قضية ترتبط بثقافة السكان وعدم استيعابهم لمفهوم الحضرية كأسلوب للحياة ، إذ أن خلفياتهم الاجتماعية تستند إلى التركيبية الاجتماعية التي نشأوا عليها وطالما أن الارتباط بالمدينة لم ينشأ من خلال تنشئة حضرية فإن أزمة السلوك الحضري تزداد حدة يوما بعد يوم خاصة في الأحياء الحضرية المتخلفة فهذا النمو والتوسع غير الموجه الذي زامنه توسع في رقعة النفايات المنزلية المكثسة أمام الوحدات السكنية والمحلات التجارية والورش صارت مستنقعا للأمراض المزمنة والأوبئة وتلوث مظهرها وبروز مشكلات بيئية أيضا تتعلق بتوفر الخدمات والمرافق العامة والمرافق الصحية إذ يمثل هذه المشكلات جانبا آخر من جوانب الأزمات البيئية التي تتعرض لها الأحياء الحضرية المتخلفة بصفة مستمرة .

ونظرا لبروز وتفاقم أنواع هذه المشكلات سنحاول في هذا البحث التركيز على تلوث المحيط بالأحياء الحضرية المتخلفة وجانب تكسب النفايات المنزلية في الأحياء الحضرية المتخلفة باعتبارها أكثر المجالات الحضرية تعرضا لهذه المشكلات وذلك من خلال بحث الوضع السائد والمميز لمحيط هذه الأحياء ونظام تسيير النفايات المنزلية ثم دراسة وبحث طبيعة الثقافة البيئية التي تميز سكان هذه الأحياء وحسب خصائصهم الاجتماعية والثقافية ومستوياتهم الاقتصادية لهذا نطرح تساؤلا رئيسيا في هذا البحث إذ نحاول من خلاله أن نجيب عنه في الدراسة ومحتوى هذا التساؤل : هل نقص الثقافة البيئية للسكان له علاقة بظهور مشكلات البيئة الحضرية المتخلفة ؟ وهل نقص الثقافة البيئية لدى سكان الأحياء الحضرية المتخلفة له علاقة بظهور المشكلات البيئية؟

¹ -صحي قنوص ، دراسات حضرية ، مدخل نظري ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1994، ص 185 - بتصرف

ثانيا: المفاهيم الأساسية للموضوع

1- الثقافة: culture

في حقيقة الأمر توجد الكثير من التعريفات التي وضعت لمفهوم الثقافة لكن سنوجز ذلك في مايلي:

*فبوسعنا أن نقول أن الفعل "ثقّف" أصل لغوي يتصل تاريخه باللغة العربية ما قبل الإسلام حتى لنراه قد ورد في بعض آيات من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى "واقتلوهم حيث ثقفتموهم" البقرة¹. إلا أن استخدامه في اللغة العربية بالمفهوم المتعارف عليه حاليا حديث نوعا ما.

*وقد حدد «تاييلور» مفهوم الثقافة بقوله: "هي ذلك الكل المركب المعقد الذي يضم العلوم والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين وجميع الاستعدادات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه فردا من مجتمع"²

كما تعرف الثقافة في التعريف الأنثروبولوجي السوسيولوجي «بأنها النسق الرمزي المادي العام الذي يشكل طريقة حياة أي جماعة أو مجتمع أي أن لكل جماعة إنسانية ثقافتها أو طريقة حياتها، ولا توجد جماعة بشرية بلا ثقافة، فالثقافة هي نتاج العيش معا في جماعة، ويمكن توصيله أو توارثه»⁽³⁾

2- تعريف البيئة:

*عرفت الأمم المتحدة البيئة على أنها "الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منها على مستلزمات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقته مع أقرانه من بني البشر . وتعرف "البيئة" حسب قانون البيئة رقم 4 لسنة 1994 بأنها " المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية وما يحتويه من مواد وما يحيط بها من هواء وماء وتربة وما يقيمه الإنسان من مشكلات"⁽⁴⁾.

*والبيئة في أبسط معانيها هي كل ما هو خارج عن كيان الإنسان وكل ما يحيط به من موجودات وهي الإطار الذي يمارس فيه حياته ونشاطاته المختلفة⁽⁵⁾

¹ -القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 191

² - سعدى صناوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان ط1، 1994، ص: 197 .

³ - جابر عصفور، مستقبل الثقافة العربية، سلسلة أبحاث المؤتمرات، مكتبة القاهرة الكبرى 1997، ص213 .

⁴ - السيد سلامة الخميس، التربية وقضايا البيئة المعاصرة، قراءات عن الدراسات البيئية للمعلم، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر ط 2000

ص22.

⁵ - محمود الجوهري، علم الاجتماع الريفي الحضري، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة 1997. ص-61

3- تعريف التلوث : Pollution

هو "الإدخال المباشر أو غير المباشر لمادة ملوثة في وسط محدود أو هو إطلاق عناصر أو مركبات غازية أو صلبة أو سائلة إلى عناصر البيئة مما يسبب تغييرا في جودتها ونظامها"⁽¹⁾.

-**التلوث البيئي:** هو "كل تغيير كمي أو كيميائي في مكونات البيئة الحية وغير الحية ولا تقدر الأنظمة البيئية على استيعابه دون أن يختل اتزانها".

أ- الأيكولوجيا: يطلق البعض مصطلح الأيكولوجيا Ecology البيئة Environnement مما أدى إلى الإختلاط بين المصطلحين وأوضح عالم الأيكولوجي Ecologist وعالم البيئة وكأنها تسميتان مترادفتان لمجال واحد والواقع غير ذلك فمصطلح الأيكولوجيا يتكون مقطعين يونانيين Oikost وتعني مكان المعيشة و Logus وتعني دراسة كلمة الايكولوجيا Ecology باللغة الانجليزية مشتقة من الكلمة اليونانية Oikes ومعناها باللغة الانجليزية House أي بيت أو مسكن باللغة العربية والمعنى الواسع لها من يقيمون في المسكن ونشاطهم اليومي ومبلغ تأديتهم لوظائفهم للبقاء على قيد الحياة وضمان الحصول على مواردهم المعيشية².

ب- والأيكولوجيا البشرية: تعرف تعريفا عاما جدا بأنها دراسة العلاقات بين الجماعات الإنسانية و البيئة المحيطة بها.³ فالإيكولوجيا البشرية تعني في المقام الأول بدراسة أشكال العلاقات الزمانية و المكانية التي تنجم عن تأثيرات البيئة و الكائنات و النظم الإنسانية التي ترتبط فيها ارتباطا متبادلا و بتأثير البيئة على التجمعات الإنسانية⁴.

4- الأحياء الحضرية المتخلفة:

ليس هناك اتفاق عام على تعريف المنطقة السكنية الحضرية ، فبعض الكتاب يعتبرون الحي المتخلف نموذجا خاصا للمنطقة غير المنتظمة ويفسر الآخرون الاصطلاح "حي متخلف" والاصطلاح "منطقة فاسدة" على أنهما مترادفان ولكن يبدو انه من الأفضل أن نتبع رأي "كوين" وأن

¹ - عبد العظيم احمد عبد العظيم ، الإسلام والبيئة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط1999 ، ص-6

² - محمود الجوهري ، علم الاجتماع الريفي الحضري ، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة 1997. ص -61

³ - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية الأزاريطة. ص-144

⁴ - عبد الرؤوف الضبع. علم الاجتماع وقضايا البيئة. مداخل نظرية ودراسات وقعية دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الإسكندرية ط 2004. ص

نميز بينهما حيث نجد ان كوبن يرى أن " الفاسد" ينطبق على كل من المناطق السكنية وغير السكنية بينما يقتصر مصطلح " المتخلف" على المناطق السكنية فقط، وهناك من يعتقد أن الأحياء يمكن أن توجد أيضا في المناطق الريفية وهذه قضية قابلة للمناقشة¹.

5- المناطق العشوائية" أو السكن العشوائي":

يتميز عامة بالتخلف الفيزيقي للمساكن فهي مباني قديمة وآيلة للسقوط أو مساكن مقامة من الصفيح ولا يوجد بها أي نوع من الخدمات سواء كانت مرافق أو خدمات اجتماعية².
اما السكن العشوائي " فهو ذلك السكن الذي يعتمد على مدى شرعية إحتلال الأرض او المسكن أو كليهما " وكما نجد تعريفا آخر يؤكد ان أهم خصائص السكن العشوائي " عدم قانونيته ونشأته غير المنتظمة" ³.

ثالثا: المشكلات البيئية في المجتمع الحضري- التلوث الحضري و الأحياء الحضرية المتخلفة-

أ- التلوث الحضري:

يعتبر التلوث من سمات العصر الحديث نظرا للتطور الهائل في الصناعة و التقدم التكنولوجي وكذلك الزيادة الهائلة في عدد السكان خاصة في المدن الرئيسية الكبرى خاصة أن هذه الزيادة يتبعها زيادة التجمعات العمرانية غير مخططة مما سبب خلل بيئي بين مكونات البيئة و التجمعات العمرانية غير المخططة و السكان مما ساعد على ظهور عنصر جديد عن التخطيط وهو تلوث البيئة و تلوث الأحياء الحضرية المتخلفة و انتشار و ظهور الأمراض الحديثة التابعة لهذا التطور مثل السرطانات و الأمراض العصبية و النفسية و غيرها من الأمراض العصرية. ويلاحظ أن تلوث البيئة الحضرية تدرج في مراحل تتصل بالتطور و التنمية العمرانية و الصناعية و التخلف و يرتبط بأنماط من التلوث و انتشار النفايات المنزلية التي ترجع إلى قصور أجهزة المدينة من أن تقوم بعمليات التنظيف على الوجه الأكمل وقد يكون أيضا بسبب تزايد عدد السكان وازدحام و زيادة مخلفاتهم المنزلية ونقص الثقافة البيئية لدى السكان خاصة السكان القاطنين بالأحياء الحضرية المتخلفة وبهد ظهرت مشكلات بيئية حضرية جديدة تعد مشكل من مشاكل التلوث البيئي في البيئة الحضرية .بالرغم من أن أول ما

¹ - السيد عبد العاطي السيد. علم الاجتماع الحضري بين النظرية و التطبيق، الجزء الثالث. دار المعرفة الجامعية الأزاريطة، 2000 ص: 232-233 .

² - محمد حسن غامدي، الأنثروبولوجيا الحضرية مع دراسة عن التحضر في مدينة العين أبو ظبي دار المعرفة الجامعية ، ص: 150 .

³ - السيد الحسيني السكان و التنمية الحضرية. دراسة الأحياء الفقيرة في مدينة القاهرة مكتب غريب ط. 1991 ص: 18.

تنبه له الإنسان وتنبه به من مظاهر التلوث البيئي ما صاحب نشأة المدن الكبرى من مشاكل تتصل بمخلفات المجاري وتراكم القمامة و قذارة الطرقات .

وقد أدى التوسع الحضري إلى نتائج بيئية سلبية على الحياة الخاصة في المدن الكبرى. وذلك بسبب النمو الحضري الذي زاد عن الطاقة الاستيعابية لهذه المدن بشكل يضغط على البيئة بأكثر مما تتحمل. فالتلوث الهوائي الناتج عن الغازات المنبعثة من محركات السيارات يفرز خليطا ساما من العناصر المشعة بسبب تعرضها للأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس مما يؤدي إلى أضرار بليغة على صحة الإنسان.

كما يحدث أن يتلوث الهواء بالرصاص الناتج عن احتراق الجازولين أحد مقومات وقود محركات السيارات ، وكذلك يمكن أن يتلوث الهواء بالشوائب العالقة المتدفقة من مداخن المصانع وغير ذلك من أشكال التلوث التي تمثل في مجموعها غازات سامة يستنشقها الإنسان وتؤثر على صحته و سلامته إذ يستطيع الإنسان الاستغناء عن الطعام لعدة أيام ولكنه لا يستطيع الاستغناء عن الهواء إلا لمدة دقائق

كما أن الملوثات غير السامة مثل الأتربة وغبار الاسمنت و الرائحة الكريهة فإنها تؤثر على صحة الإنسان وتؤثر على الجهاز التنفسي وتهيجه فقد تحدث تلفا في الرئتين فهناك من يربط بينها وبين الإصابة بسرطان الرئة؛ إذ تدخل الملوثات إلى جسم الإنسان إما عن طريق الاستنشاق وهو أخطر الوسائل وأشدّها تأثيرا وإما عن طريق المسام الجلدية أو عن طريق تناول الأغذية إذ تتسبب بعض الملوثات في إحداث الكثير من أمراض الجهاز التنفسي و الجهاز الهضمي و الأمراض الجلدية و أمراض العيون.

كما نتج عن الأتربة و الدخان المتصاعد جراء النشاط الصناعي إلى مشاكل بيئية عديدة و خطيرة ، وقد أثبتت الدراسات مدى انعكاساتها السلبية على الصحة الإنسانية فنتسبب الأتربة العالقة على تعكير الجو و حجب الرؤية . كما تؤثر على صحة العيون إذ تؤدي لإصابتها بأمراض.

كما تعد مشكلة الضوضاء من أهم مشاكل تلوث البيئة الحضرية إذ تتسبب وسائل المواصلات ووسائل الإعلام المنتجة في قدر كبير من الضوضاء في المدينة خاصة باستمرار حركة المرور .

فالدراسات البيئية تشير إلى أن الضوضاء يؤثر غالبا على صحة السكان إذ تسبب له الشعور بالإجهاد الذهني وعدم التركيز وفقدان القدرة على الاستيعاب والتعلم ويؤثر على درجة الأداء الذهني

و الأعمال التي تتطلب اليقظة و كذلك العمليات الحسابية ،كما قد يؤدي التعرض الدائم لدرجة عالية من الضوضاء إلى انخفاض حدة السمع لدى الإنسان وفي بعض الأحيان يؤدي إلى الإصابة بصمم جزئي أو كلي .

كما أن النفايات المنزلية تعد مشكلة بيئية حضرية لازالت تمثل أحد مظاهر ها الأساسية لتلوث السطح فالأساليب المتبعة في التخلص من القمامة مازالت تتطلب تطويرا حتى يمكن أن تخفف من حدة هذه المشكلة . فمازالت نسبة كبيرة من السكان يتخلصون من القمامة من خلال أساليب لا تمنع من بروز الآثار السلبية لتراكم النفايات المنزلية سواء كان عن طريق تخزين النفايات المنزلية بالمنزل أو رمي القمامة حسب التوقيت المحدد لرميها أو الأشخاص القائمين على جمع القمامة أو الأماكن التي يتم فيها التخلص من القمامة.

كما يؤدي التوسع الحضري غير المخطط إلى إبراز مشكلات بيئية حضرية على نواحي الحياة خاصة في الأحياء الحضرية المتخلفة وذلك بسبب النمو السكاني الذي زاد عن الطاقة الإستيعابية لهذه المدن بشكل يضغط على البيئة الحضرية بأكثر مما تتحمل حيث ساهم في انحصار المساحات الخضراء ونقص الحدائق إن لم نقل بانعدامها كليا.

ب-الأحياء الحضرية المتخلفة:

إن ظاهرة الأحياء الحضرية المتخلفة" النمو العشوائي"تعد كنتيجة حتمية لديناميكية الحضرية التي عرفتها المدينة الجزائرية ففي سنوات السبعينيات من القرن الماضي اعتمدت الجزائر على إستراتيجية اقتصادية قائمة على سياسة أقطاب النمو الصناعة المصنعة وأنجزت العديد من الوحدات الصناعية. إلى جانب مناطق سكنية حضرية جديدة وهياكل قاعدية،طرقا مستشفيات وجامعات،هذه الإستراتيجية أدت إلى نزوح ريفي إلى المدن الكبرى.⁽¹⁾

وتعد مدينة باتنة من المدن التي يرتفع فيها عدد الأحياء الحضرية المتخلفة إذ تتوزع خارج المدينة بشكل فوضوي ودون تخطيط فتعددت أسباب نشأتها غير أن السبب الرئيسي يتمثل في الزيادة السريعة في عدد السكان والهجرة الداخلية بشكل فوضوي يفوق قدرة المصالح الرسمية على توفير مسكن مناسب لهذه الأعداد الهائلة من السكان المهاجرين.

¹ - أحسن بن ميسي .الديناميكية الحضرية والنمو العشوائي في الجزائر أساليب المعالجة وفق الامتداد ورقة بحثية بالملتقى الوطني حول المدينة الجزائرية و التحولات المعاصرة مشكلات وحلول ،قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا ،جامعة قسنطينة.2005.

تعرف هذه المناطق من السكن بالأحياء الحضرية المتخلفة أو الأحياء الحضرية غير مخططة كما تسمى أيضا في بعض المناطق بأحياء الصفيح هذه الأحياء تفتقر كثيرا إلى الخدمات الصحية والأمنية وإلى الصحة البيئية مما يجعل الحياة فيها غير لائقة ، حيث تقف هذه المشكلات عقبة في سبيل تطورها و في سبيل تمتع ساكنيها بحياة حضرية ملائمة. ويمكن حصر أهم الأسباب و العوامل انتشار المناطق العشوائية كالآتي :

-قيام السكان والأهالي بتوفير مساكنهم اعتمادا على أنفسهم .
-وضع اقتصادي مزري لمعظم سكان المناطق الحضرية وإهمال تام للتنمية الريفية-في بداية بناء المساكن-.

-عدم الجدية في تطبيق القوانين و التشريعات المنظمة للعمران.(1)

و من خلال عمل ميداني قام به "محمود قرزیز"توضح بأن عينات البحث أرجعت تنامي ظاهرة الأحياء الفوضوية على أطراف المدينة إلى تنامي أزمة السكن و بالتالي صعوبات وانجاز أو كراء سكن في ظروف غلاء أسعارها.(2)

وتعد مشكلة الأحياء الحضرية مشكلة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمشكلة البيئية للأحياء إذ تلعب البيئة الثقافية لهذه المناطق دورا مهما في طبع أهلها و المقيمين فيها بثقافة مميزة ، وهذا الطابع الثقافي يظهر جليا في عديد من التصرفات والمعايير السلوكية و خاصة في تعاملها مع البيئة المحيطة بهم وأقرب شيء لهم هي الأحياء ومدى نظافتها فتعد ظاهرة التلوث في الأحياء الحضرية المتخلفة ظاهرة اجتماعية سلبية تعكس مدى انعدام ثقافة بيئية لدى سكان هذه الأحياء أو انعكاس لعدم مبالاة السكان في حين تدمرهم من المناظر المشوهة فالكل يتكل على الآخر دون مساعدات فردية و التذمر من العمال في حال تأخرهم في تنظيف الشوارع من المهملات المترامية في الشوارع.

رابعا: الثقافة البيئية و حماية بيئة الأحياء الحضرية من التلوث الحضري:

تحتل الأسرة أهمية بالغة وكبيرة في إكساب الفرد الثقافة التي تتلائم مع البيئة المحيطة سواء كانت بيئة طبيعية أو مشيدة و تحوي تلك الثقافة القيم و المبادئ و المعايير السلوكي التي تحدد اتجاهات

1- مديرية التهيئة والتعمير، قسم التوثيق -أدوات التهيئة والتعمير -ولاية باتنة.

2- محمود قرزیز، التغير الأسري في المجتمع الحضري الجزائري -دراسة ميدانية على عينة أسر في مدينة باتنة. بحث مقدم لنيل شهادة

الدكتوراه علوم في علم الاجتماع-تنظيم وعمل -2007-2008. ص: 281.

الفرد في تعاملاته السلوكية مع الوسط المحيط به بما يتفق مع ما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه⁽¹⁾ إذ ترتبط في غالب الأحيان الثقافة إلى حد بعيد بمستوى التعليم والطبقة و أماكن الإقامة وثقافة الوالدين وتكامل وسط التنشئة و أثارها و التعريف بالبيئة وغرس حب البيئة و الحفاظ عليها في نفوس النشئ . ففي مجال البيئة لا يوجد احد يعطي و الآخر يأخذ ولكن الكل يعطي و الكل يأخذ .

فالثقافة البيئية يجدر أن وتهدف إلى اتخاذ الإجراءات الوقائية التي تؤدي إلى منع خطر التلوث الحضري الذي نتج عن كثرة انتشار النفايات المنزلية المتراكمة في الأحياء الحضرية المتخلفة .

ومن المشكلات الأساسية في موضوع الثقافة البيئية ما يتعلق بالمشكلات البيئية في الأحياء الحضرية المتخلفة فزيادة درجة التلوث البيئي الذي طغى في محيط هذه الأحياء شكل منظر غير لائق وانعكاس سلبي على السكان وعلى صحتهم وعلى حياتهم اليومية فالتلوث البيئي السطحي المتمثل في ارتفاع نسب النفايات المنزلية المتراكمة والملاحظة في الأحياء بشكل عشوائي جعل الارتباط وثيق بين المتغيرين فالثقافة البيئية لدى السكان يمكن أن نغير من المشكلات التي تواجهها الأحياء من مشكلات بيئية فكلما كانت لدى السكان ثقافة بيئية سواء كانت ثقافة تقليدية أو ثقافة مكتسبة سوف تساهم في حل المشكلات بشكل أو بآخر و مواجهة المشكلة البيئية التي يعاني منها الأحياء خاصة التلوث البيئي الحضري في الأحياء الحضرية المتخلفة.

خامسا: الوعي البيئي بأخطار التلوث البيئي:

ترتبط قضية الوعي البيئي أشد الارتباط بالثقافة بوصف هذا الوعي جزء من الثقافة السائدة التي تعمل كموجه عام لسلوك الإنسان و من الملاحظ أن الإنسان في البيئة الاجتماعية الريفية تعيش في ظل ثقافة تقليدية إلى حد ما ، بعكس الإنسان في البيئة الاجتماعية الحضرية حيث يعيش في ظل ثقافة سريعة التغير بالرغم من اكتسابه للثقافة التقليدية قبل العيش بالمدينة ، وتعكس هذه الثقافة درجة الإدراك لدى مواطنيها بأهمية المحافظة على البيئة وحمايتها بما يحافظ على صحة الإنسان وسلامته.

(2)

فدرجة الوعي البيئي والثقافة البيئية مرتبطان ارتباط وثيق في الحفاظ على المحيط فالممارسات السلوكية تتواءم وتواجه مظاهر التلوث الحضري خاصة بما يتعلق بالتلوث الناتج عن النفايات المنزلية التي تسعى

1- أحمد يحي عبد الحميد. الأسرة والبيئة .مراجعة وتقديم عبد الهادي الجوهري. المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة الإسكندرية. 1998. ص: 237.

2- عبد الرؤوف الضبع . نفس المرجع السابق . ص: 214.

كل الجهات في سبيل تقليل من حدتها وتراكمها و ذلك من خلال تحديد و ضبط مواعيد رميها التي لابد أن ينضبط لها سكان الأحياء الحضرية المتخلفة .

فالالتزام بالمواعيد و الأوقات المحددة لرمي النفايات المنزلية يعكس مدى وجود أو انعدام ثقافة بيئية لدى السكان . وما طبيعة الثقافة السائدة في مجتمع الأحياء الحضرية المتخلفة . فقد تكون ثقافة تقليدية أو ثقافة مكتسبة حضرية فكل من الثقافتين لدى سكان الأحياء الحضرية المتخلفة تعكس طبيعة الإنسان المحب للنظافة ونبده للأوساخ وهذه الثقافة البيئية التقليدية أو الثقافة المكتسبة بالوسط الحضري لا يتعلق بالمستوى التعليمي أو المستوى العمري أو المستوى الثقافي أو الاجتماعي . فطبيعة الإنسان و حرصه على النظافة هو ما يدفعه للحفاظ على نظافة الأحياء و لكن هل هذا حقا يتجسد في الواقع ؟

الخلاصة:

نخلص مما سبق من عرض حول الثقافة البيئية وعلاقتها بالتلوث الحضري؛ إلى أن عدم تخطيط الأحياء السكنية، وعدم التحكم في النمو الحضري وتوجيهه بما يخدم الصحة العامة للسكان، وكذا انعدام وجود منظومة ثقافية بيئية تدعم قيم النظافة الحضرية، وتحارب قيم التلوث الحضري؛ أدى إلى ظهور تلوث حضري مس العديد من الأحياء الشعبية بالمدن، وخاصة الأحياء غير المخططة، والأحياء القديمة؛ وبهذا نصل إلى أن مكونات الثقافة البيئية الضعيفة في المدينة الجزائرية تؤدي لا محالة إلى التلوث البيئي وما ينجر عنه من مشكلات اجتماعية وصحية تهدد استقرار المجتمع الجزائري.

المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية . 191
- 2- جابر عصفور. مستقبل الثقافة العربية . سلسلة أبحاث المؤتمرات . مكتبة القاهرة الكبرى . 1997..
- 3- سعدي صناوي. مدخل إلى علم اجتماع الأدب . دار الفكر العربي للطباعة و النشر بيروت لبنان . الطبعة الأولى . 1994.
- 4- السيد سلامة الخميسي. التربية وقضايا البيئية المعاصرة . قراءات عن الدراسات البيئية للمعلم . دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر . طبعة . 2000
- 5- محمود الجوهري. علم الاجتماع الريفي الحضري . دار المعرفة الجامعية الأزاريطة . 1997..
- 6- محمد عاطف غيث . قاموس علم الاجتماع . دار المعرفة الجامعية الأزاريطة.
- 7- عبد الرؤوف الضبع . علم الاجتماع وقضايا البيئة . مداخل نظرية و دراسات واقعية دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الإسكندرية. طبعة . 2004

- 8- السيد عبد العاطي السيد علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق الجزء الثالث . دار المعرفة الجامعية الأزاريطة..2000
- 9- محمد حسن غامدي .الانثروبولوجية الحضرية مع دراسة عن التحضر في مدينة العين أبو ظبي دار المعرفة الجامعية الأزاريطة .
- 10- السيد الحسيني .الإسكان والتنمية الحضرية.دراسة الأحياء الفقيرة في مدينة القاهرة مكتب غريب الطبعة الأولى 1991 .
- 11- أحسن بن ميسي .الديناميكية الحضرية والنمو العشوائي في الجزائر أساليب المعالجة وفق الامتداد ورقة بحثية بالملتقى الوطني حول المدينة الجزائرية و التحولات المعاصرة مشكلات وحلول ،قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا ،جامعة قسنطينة..2005
- 13- مديرية التهيئة والتعمير ،قسم التوثيق -أدوات التهيئة والتعمير -ولاية باتنة.
- 14- محمود قرزيز،التغير الأسري في المجتمع الحضري الجزائري -دراسة ميدانية على عينة أسر في مدينة باتنة.بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع-تنظيم وعمل -2007-2008 .
- 15- أحمد يحي عبد الحميد.الأسرة والبيئة .مراجعة وتقديم عبد الهادي الجوهري.المكتب الجامعي الحديث .الأزاريطة الإسكندرية..1998
- 16- عبد العظيم احمد عبد العظيم ، الإسلام والبيئة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط1999.
- 17- محمد عباس إبراهيم ، التنمية والعشوائيات الحضرية ، اتجاهات نظرية وبحوث تطبيقية ، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة ط 2000 .
- 18- صبحي قنوص ، دراسات حضرية ، مدخل نظري ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1994.
- 19- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر دمشق،2003